المدخل المفيد

إلى علم التوحيد

الطبعة الأولى
١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م
جميع الحقوق محفوظة

الكويت - مدينة سعد العبدالله - الدائري السادس - ق3 - م28
Website : www .daradahriah .com
E-mail : daradahriah@gmail .com
(+965) 99627333 - (+965) 51155398 - (+966) 559221028

الموزعون المعتمدون

دار التدمرية للنشر والتوزيع
(الرياض)
tadmoria@hotmail.com
(+966) 114925192

مكتبة الميمنة المدنية
(المدينة المنورة)
daralmimna@gmail.com
(+966) 558343947

مكتبة الشنقيطي للنشر والتوزيع
(جدة)
hassan_hyge@hotmail.com
(+966) 504395716

المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع
(مكة المكرمة)
alasadi2000@hotmail.com
(+966) 125273037

مفكرون الدولية للنشر والتوزيع
(مصر الجديدة)
mofakroun@gmail.com
(+2) 01110117447

د. محمد بن سرار اليامي

المدخل المفيد

إلى علم التوحيد

دار الظاهرية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحیم

إهداء

منَّ اللهُ عليَّ بلزوم حلقة شيخنا الإمام العلَّامة **عبدالعزيز ابن عبدالله بن باز** -رحمه الله رحمة واسعة- زمنا طيبا... ثم رحل الإمام وبقي الغلام باحثا عن وريث يرث شيخ العلم والعمل والتواضع والنُّصح والصدق؛ وجلستُ في غير ما حلقة من حلقات العلم... فلم تشف غليل العليل بالفقد... حتى منَّ اللهُ جلَّ وعزَّ عليَّ بحلقة شيخنا العلَّامة المربِّي... فلزمته لزوم الظلِّ لصاحبه...

سنين عدداً...

ومازلتُ في خمائل ظلاله الوارفة بالعلم والعمل والنُّصح الصادق والتوجيه الكريم...

إلى شيخنا الوالد عبدالله بن صالح القُصَيِّر

متَّع الله به وبعلمه... أهدي هذا المدخل المفيد الذي هو بعضٌ منك أُهدِيَ إليك...

تلميذك

محمد

المقدمة

الحمد لله، لا مانعَ لِما أعطاهُ، ولا رادَّ لما قَضَاهُ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ لهُ ولا مَعبودَ بحقٍّ سِواهُ، وأشهدُ أنَّ محمَّدَاً عبدُ اللهِ ورسولُهُ ومُصطَفَاهُ، صلَّى الله وسلَّم وباركَ عليه، وعلى آلِه وأصحابِه وَمَنْ والاهُ. أمَّا بعدُ:

فإن توحيد الله تعالى هو أعظمُ الأعمال، وأشرف المهام، وهو السبب الذي خلَق الله سبحانه من أجلِه الإنسَ والجان؛ قال الله جل وعز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فمَن أخلص التوحيد لله جل وعز فله الأمْنُ التَّامُّ في الدنيا والآخرة والاهتداء إلى الصراط المستقيم؛ قال جل وعز: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ومن أجل فضائل التوحيد أنه أفضل الطرق المؤدية للجنة، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيْسَى عَبْدُ الله وَرَسُولُه وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**»[1].

وعن جابر رضي الله عنه قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال: «**مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّار**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٩٣).

وعلم التوحيد له شرف على غيره من العلوم لكونه متعلقًا بأشرف المعلومات التي هي أصول الدين أي معرفة الله جل وعز، والعلم بالله تعالى وصفاته أجلّ العلوم وأعلاها وأوجبها وأولاها، ويسمى علم الأصول وعلم التوحيد وعلم العقيدة، وقد خصّ النبي ﷺ نفسه بالترقي في هذا العلم فقال: «**إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**»[1]، فكان هذا العلم أهمّ العلوم تحصيلاً وأحقّها تبجيلاً وتعظيماً، قال جل وعز: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، «وهذا العلم الذي أمر الله به -وهو العلم بتوحيد الله- فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك»[2].

يقول ابن القيم -رحمه الله-: «إن أولى ما يتنافس به المتنافسون وأحرى ما يتسابق في حلبة سباقه المتسابقون ما كان بسعادة العبد في معاشه ومعاده كفيلاً وعلى طريق هذه السعادة دليلاً، وذلك العلم النافع والعمل الصالح اللذان لا سعادة للعبد إلا بهما، ولا نجاة له إلا بالتعلق بسببهما، فمن رزقهما فقد فاز وغنم، ومن حرمهما فالخير كله حرم، وهما مورد انقسام العباد إلى مرحوم ومحروم، وبهما يتميز البر من الفاجر، والتقي من الغوي، والظالم من المظلوم. ولما كان العلم للعمل قريناً وشافعاً، وشرفه لشرف معلومه تابعاً كان أشرف العلوم على الإطلاق علم التوحيد، وأنفعها علم أحكام أفعال العبيد»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠).

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٨٧).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٤).

فتعلم هذا العلم هو من أوجب الواجبات؛ لأن علم التوحيد هو أهم علوم الدين على الإطلاق، فالتوحيد أهمُّ من الأخلاق والآداب والعبادات والمعاملات؛ إذ هو أوَّل واجب على المكلف، فعند دخول الشخص الإسلامَ يجبُ عليه معرفةُ التوحيد قبل تعلُّم العبادات.

وعندما بعَث النبي ﷺ معاذًا إلى أهل اليمن، قال له: «**فليَكن أوَّل ما تدعوهم إليه أن يُوحدوا الله تعالى، فإذا عرَفوا ذلك، فأخْبِرهم أن الله فرَض عليهم خمس صلوات**»(١).

وقد دلَّ الحديث على أهمية التوحيد، وأهمية تعلمه وتعليمه للناس.

وقد مكَث النبي ﷺ في مكة بعد بَعثته ثلاث عشرة سنة، يدعو الناس إلى التوحيد الخالص، ولم تَنزل عليه سائر الفرائض إلا في المدينة؛ مما يدل على أن أوَّل أوَّليَّات الدعوة تعلم التوحيد وتعليمه للناس، فإن بصحته تكتمل وتُقبل سائر الأعمال من العبادات والسلوك، قال جل وعز: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقد تألف الكتاب من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، على النحو التالي:

الفصل الأول بعنوان: المبادئ العشرية لعلم التوحيد.

الفصل الثاني بعنوان: مجمل أصول الإيمان.

الفصل الثالث بعنوان: مفصل مسائل الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

الخاتمة.

المراجع.

الفهرس.

وما هذا المدخل المفيد إلا محاولة لتقريب هذا العلم الشريف، ومشاركة لأهل العلم في هذا الباب العظيم، عسى أن يكون حجة للعالم والمتعلم، أصله كان في دورات علمية قُدمت في بعض جوامع بلاد التوحيد، ومهبط الرسالة، ومدرج الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ثم رغب إليَّ بعض أهل الفضل ممن حضروه وطالعوه، في أن أخرجه على ما فيه من حاجة للتكميل ومزيد البحث، فاستخرت الله وعقدت العزم على ذلك، رجاءً أن ينفع به العالم والمتعلم، وأن أجد ناصحًا صادقًا.

والحمد لله رب العالمين

د. محمد بن سرّار اليامي

تمهيد

جرت عادة المصنفين من المتأخرين أن يدوِّنوا مقدمة عن علم وفضله وثمراته وما يتعلق به في صدر مصنفاتهم؛ وذلك لفوائد، منها:

- أن يحصِّل طالب العلم بصيرة وتصوراً إجماليًا للعلم قبل أن يدخل إلى تفاصيله، فيعرف الوحدة الجامعة لمسائل هذا العلم، فيأمن عندئذ من اشتباه مسائل العلوم عليه، ومن دخوله في مسائل ليست من مسائل العلم الذي عوّل عليه، وقصد إليه.

- أن يتحقق من فائدة العلم ونفعه؛ لينشط في طلبه وتحصيله؛ وليستعذب المشاق في سبيله؛ وليكون عند طلبه هذا العلم النافع المفيد مجتنباً للعبث والجهالة.

ثم إن كثيراً من المتأخرين وضعوا بعد ذلك كتباً في موضوعات العلوم ومبادئ الفنون، لعل من أجمعها وأشهرها كتاب «**مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**» للشيخ أحمد بن مصطفى المعروف بـ«طاش كبرى زاده».

هذا وقد استقر عمل المصنفين على ذكر مبادئ عشرة لكل علم وفن، تمثِّل مدخلاً تعريفيًا لطالب كل علم، وجمع بعضهم هذه المبادئ العشرة في قوله:

مبادئُ أيِّ علم كانَ حدُّ وموضوعٌ وغاية مستمدُّ
وفضلٌ واضعٌ واسمٌ وحكمُ مسائلٌ نسبةٌ عشر تُعدُّ

وهـذه المبادئ العشرة اسـم لمجموعة من المعاني والمعارف يتوقف عليها شروع الطالب والباحث في طلب العلم وتحصيله، وبيانها كالتالي:

- **الحد**: ويقصد به التعريف الجامع لمسائل العلم ومباحثه، المانع من دخول غيره فيه.

- **الموضوع**: وهو المجال المحدد الذي يبحث فيه العلم، والجهة التي تتوحد فيها مسائله.

- **الغاية أو الثمرة**: الفائدة التي يحصِّلها دارس العلم ومتعلمه في الدارين.

- **الاستمداد**: الروافد والمصادر والأسباب العلمية التي يستقي منها العلم مسائله ومطالبه.

- **الفضل**: ما للعلم من منزلة وشرف وأهمية بين العلوم.

- **الواضع**: أول من ابتدأ التدوين والتصنيف في العلم، ووضع أساسه وأرسى قواعده، كما يشمل تطور التأليف في العلم ومراحله.

- **الاسم**: الألقاب التي أطلقها أهل هذا العلم عليه لتمييزه عن غيره، حتى أصبحت أعلاماً عليه.

- **الحكم**: ويقصد به الحكم الشرعي لتعلم هذا العلم من بين الأحكام التكليفية الخمسة.

- **المسائل**: وهي المطالب التي يبحثها ويقررها العلم والتي تندرج تحت موضوعه.

- **النسبة**: صلة العلم وعلاقته بغيره من العلوم.

الفصل الأول

المبادئ العشرية

لعلم التوحيد

حد علم التوحيد

تعريف الحد:

لغة: المنع، ومنه الحدود؛ لأنها تمنع من العودة إلى المعاصي، ومنه إحداد المرأة في عدتها؛ لأنها تمنع من الطيب والزينة، وسمي التعريف حداً؛ لمنعه الداخل من الخروج، والخارج من الدخول[١].

اصطلاحاً: هو الوصف المحيط بمعناه المميّز له عن غيره[٢].

أو هو اللفظ المفسِّر لمعناه على وجه يجمع ويمنع[٣].

ويسمَّى عند بعضهم بـ«القول الشارح» أو «التعريف»، فإذا قيل: حد علم التوحيد، فإنه يراد به تعريف ذلك العلم الذي يحيط بمعناه ويجمع قضاياه، ويمنع من التباس غيرها بها، بعبارة ظاهرة بعيدة عن الألغاز، من غير اشتراك لفظي أو مجاز. والأصل في الحد أن يورث التمييز بين المحدود وغيره، أما تصوير المحدود وتعريف حقيقته على وجه التمام فهذا قد لا يتيسر في كل حدٍّ ولا يتحقق في كل محدود.

أولاً: معنى التوحيد:

لغة: (وَحَدَ) تدور حول انفراد الشيء بذاته أو صفاته أو أفعاله، وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه[٤].

---

(١) ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٩٥)، تهذيب اللغة (٣/ ٢٧١)، الصحاح تاج اللغة (٢/ ٤٦٢)، مقاييس اللغة (٢/ ٣)، لسان العرب (٣/ ١٤٠)، المصباح المنير (١/ ١٢٤).

(٢) مختصر التحرير (١/ ٨٩).

(٣) المستصفى (ص: ١٨)، روضة الناظر (١/ ٦٦)، شرح تنقيح الفصول (ص: ٤).

(٤) ينظر: العين (٣/ ٢٨١)، الصحاح تاج اللغة (٢/ ٥٤٧)، مجمل اللغة (ص: ٩١٨).

والتوحيد مصدر وحَّده يوحده توحيداً[١]، ومعناه حينئذ: «جعله واحداً»[٢].

التوحيد اصطلاحاً: للتوحيد اصطلاحاً إطلاق عام وذلك باعتباره فعلاً من أفعال القلوب، وآخر خاص باعتباره عَلَماً على علْم معَّين، وعلى هذا فالتوحيد بالمعنى المصدري العام هو: إفراد الله بالعبادة، مع الجزم بانفراده في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي ذاته، فلا نظير له، ولا مثيل له في ذلك كله[٣].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «هو عبادة الله وحده لا شريك له، مع ما يتضمنه من أنه لا رب لشيء من الممكنات سواه»[٤].

ثانياً: معنى العلم:

يطلق العلم ويراد به: إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع[٥]، ويمكن تعريفه بتمثيل كأن يقال: العلم إدراك البصيرة المشابه لإدراك الباصرة[٦].

قال ابن القيم رحمه الله: «العلم: نقل صورة المعلوم من الخارج وإثباتها في النفس.. فإن كان الثابت في النفس مطابقاً للحقيقة في نفسها فهو علم صحيح»[٧].

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٤٠٩).
(٢) القاموس المحيط (ص: ٣٢٤)، تاج العروس (٩/ ٢٦٦).
(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٤٤).
(٤) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٢٤٦).
(٥) ينظر: التعريفات (ص: ١٥٥)، الكليات (ص: ٦١١).
(٦) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (٢/ ٢٤٤).
(٧) الفوائد (ص: ٨٤).

ويطلق العلم على الظن الغالب، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠]، أي: غلب على ظنكم[١]، قال النسفي: «العلم الذي تبلغه طاقتكم، وهو الظن الغالب بظهور الأمارات»[٢]، ثم قال معلقاً: «وفي تسمية الظن علماً إشارة إلى أن الظن وما يفضي إليه القياس جار مجرى العلم»[٣]، كما يطلق الظن على العلم كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

وعليه فإن العلم اصطلاحاً يطلق على مجموعة من المعارف الظنية الراجحة ومنها ما هو قطعي، بشرط أن تكون منظمة حول موضوع ما، كعلم التوحيد، وعلم الفقه، وعلم الطب ونحو ذلك[٤].

وبناء على ما تقدم، فإن المختار في تعريف العلم أنه:

الإدراك الحاصل بالدليل، الشامل لليقين الحازم والظن الغالب، وما بينهما من درجات ومراتب.

وأخيراً فإن العلم -اصطلاحاً- قد يطلق ويراد به قواعد ومسائل العلم تارة، وإدراك هذه المسائل تارة أخرى، وملكة إدراك المسائل تارة ثالثة[٥].

معنى المركب الإضافي:

فإذا أضيفت كلمة العلم إلى كلمة التوحيد، فإن معنى هذا المركب الإضافي هو: الإدراك الجازم المطابق للواقع عن دليل

---

(١) الكليات (ص: ٩٤٣).

(٢) تفسير النسفي (٣/ ٤٧٠).

(٣) تفسير النسفي (٣/ ٤٧٠).

(٤) علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة، ص ٧٧.

(٥) ينظر: أبجد العلوم (ص: ٢٤).

بانفراد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، مع انفراده في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

علم التوحيد باعتباره اللقبي:

الطور الأخير لهذا الاصطلاح وهو طور الاستقلال وصيرورته لقباً على فن مخصوص، وهو «علم التوحيد»، ويعرَّف بهذا الاعتبار على أنه: «العلم الذي يبحث عما يجب لله من صفات الجلال والكمال، وما يستحيل عليه من كل ما لا يليق به، وما يجوز من الأفعال، وعما يجب للرسل والأنبياء، وما يستحيل عليهم، وما يجوز في حقهم، وما يتصل بذلك من الإيمان بالكتب المنزلة، والملائكة الأطهار، ويوم البعث والجزاء، والقدر والقضاء»[١].

وقد يقال اختصاراً هو: «العلم بالأحكام الشرعية العقدية المكتسب من الأدلة اليقينية، ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية»[٢].

وهذا التعريف يرجع إلى اعتبار هذا العلم ملكة يتمكن معها صاحبها من إيراد الحجج على العقائد ودفع الشبه عنها.

ويرد على هذا التعريف أن أحاديث الآحاد مما يحتج به في العقائد والأحكام سواء؛ فلو قيل «بالأدلة المرضية» لتشمل الأدلة اليقينية والظنية لكان أولى.

كما يمكن أن يعرَّف باعتبار موضوعه فيقال: علم التوحيد: هو العلم الذي يبحث في الله وما يجب له وما يجوز وما يمتنع، وهذا يشمل الأنواع الثلاثة من التوحيد: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

(١) مذكرة في علم التوحيد للشيخ عبد الرزاق عفيفي، ص ٣، ٤.

(٢) المدخل لدارسة العقيدة الإسلامية للبريكان، ص ١٣.

أسماء علم التوحيد

الاسم هو ما دل على مسمى كزيد وعمرو، وهو مشتق من السمة وهي العلامة، فهو علامة على مسماه، أو مشتق من السمو وهو العلو والارتفاع، إذ إنه يعلو مسماه[١].

والمقصود بأسماء العلم ما يطلق عليه من الأسماء المعتبرة عند أهل هذا العلم، والمسمى إذا كثرت أسماؤه دل ذلك على شرفه وفضله وأهميته غالباً، وعلم التوحيد من أكثر العلوم أسماء، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: أسماء علم التوحيد:

- علم التوحيد:

ولعل السبب في إطلاق اسم التوحيد على هذا العلم، هو أن مبحث وحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله هو أهم مباحث هذا العلم، فهو من باب تسمية الكل بأشرف أجزائه، أو تسمية العلم بأشهر بحوثه، ثم إن ما عدا مبحث الوحدانية قائم ومعتمد عليه، فهو الأصل الذي يتفرع عنه غيره.

ولقد كثرت الكتب المصنفة في باب الاعتقاد التي تحمل اسم التوحيد قديماً وحديثاً، فمن ذلك:

- «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب» للإمام أبي بكر ابن خزيمة.

---

(١) ينظر: المخصص (٥/ ٢١٥)، التعريفات (ص: ٢٤)، تاج العروس (٣٨/ ٣٠٥).

- «كتاب التوحيد الذي هو حق لك على العبيد» للإمام محمد ابن عبد الوهاب.

- **العقيدة:**

معناها في اللغة:

فعيلة بمعنى مفعولة، أي معقودة، فهي مأخوذة من العَقْد، وهو الجمع بين أطراف الشيء على سبيل الربط والإبرام والإحكام والتوثيق، ويستعمل ذلك في الأجسام المادية، كعقد الحبل، ثم توسع في معنى العقد فاستعمل في الأمور المعنوية، كعقد البيع وعقد النكاح[١].

قال ابن فارس: «العين والقاف والدال، أصل واحد يدل على شدٍّ، وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها»[٢].

وكلمة العقيدة لم ترد في القرآن الكريم وإنما وردت مادتها فقط في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النساء: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

«وأما معاجم اللغة القديمة فلم ترد فيها كلمة العقيدة باستثناء المصباح المنير، فقد ذكر فيه الفيومي أن العقيدة ما يدين الإنسان به، فهي الإيمان بحقيقة معينة إيماناً لا يقبل الشك أو الجدل»[٣].

وقد ذكر المعجم الوسيط أن العقيدة: هي «الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، ويرادفها الاعتقاد والمعتقد.. وجمعها عقائد»[٤].

---

(١) ينظر: العين (١/ ١٤٠)، مختار الصحاح (ص: ٢١٤)، المصباح المنير (٢/ ٤٢١).

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ٨٦).

(٣) علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة، للدكتور أحمد السايح، ص ٨.

(٤) المعجم الوسيط (٢/ ٦١٤).